جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

انفرادات السيوطي وتعليقاته البلاغية في سورتي: آل عمران والمائدة، من تفسير: قطف الأزهار في كشف الأسرار (عرض ومناقشة)

الدكتور

عطا الله بن جضعان بن سمير العنزي

الأستاذ المساعد بكلية العلوم والآداب برفحاء - جامعة الحدود الشمالية - المملكة العربية السعودية

العدد الرابع والعشرون

للعام ١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠م

الجزء الثالث عشر

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٠م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

انفرادات السيوطي وتعليقاته البلاغية في سورتي: آل عمران والمائدة، من تفسير: قطف الأزهار في كشف الأسرار (عرض ومناقشة)

عطا الله بن جضعان بن سمير العنزي

قسم اللغة العربية ـ كلية العلوم والآداب برفحاء - جامعة الحدود الشمالية ـ المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: Dr.atallah2@gmail.com

الملخص

موضوع البحث:

انفرادات السيوطي وتعليقاته البلاغية في سورتي: آل عمران والمائدة، من تفسير قطف الأزهار في كشف الأسرار (عرض ومناقشة).

أهداف البحث:

تسليط الضوء على أهم انفرادات السيوطي البلاغية، وتعليقاته البيانية في سورتي: آل عمران والمائدة.

أهم النتائج:

– يهتم السيوطي كثيراً بإبراز الأساليب البلاغية في تفسيره، ويحاول الكشف عن إعجازها.

– تفسير قطف الأزهار يغلب عليه النقل من كلام العلماء، لكنه مع ذلك يحتوي على عدد من الآراء البيانية، والملامح البلاغية، التي ذكرها مؤلفه تعقيباً على كلام غيره من العلماء، أو تفرد بها دون أن يلمحها من قبله.

التوصيات:

تعد تعليقات السيوطي وانفراداته البلاغية، من أهم الملامح التي يجب على الباحث البلاغي التنبه لها، والاهتمام بها، فكتاب قطف الأزهار يعد من أهم كتب السيوطي، حيث تناول فيه المؤلف آيات القرآن الكريم بالشرح والتفسير، وبيان ما فيها من فنون بلاغية، وصور بديعية، ولمحات إعجازية، نقلاً عن غيره، أو اكتشافاً من نفسه.

الكلمات المفتاحية: انفرادات، تعليقات، البلاغة، السيوطي، آل عمران، المائدة.

Al-Suyuti's rhetoric and rhetorical comments in Surat: Al-Imran and Al-Ma'idah، From Tafseer: picking flowers in revealing secrets (presentation and discussion)

Atallah bin Jadhaan bin Samir Al-Anzi
Department of Arabic Language - College of Sciences and Arts in Rafha - Northern Border University - Kingdom of Saudi Arabia
Email: Dr.atallah2@gmail.com

Abstract

Research topic:

Al-Suyuti's rhetorical discourses and rhetorical comments in Surat: Al-Imran and Al-Ma`idah, from the interpretation of picking flowers in Kashf Al-Asrar (presentation and discussion).

Research aims:

Shedding light on the most important rhetorical rhetoric of al-Suyuti, and his graphic comments in my surahs: Al-Imran and Al-Ma`idah

Main results:

Al-Suyuti is very interested in highlighting the rhetorical methods of his interpretation, and he tries to reveal their miracles.

-The interpretation of picking flowers is predominantly transmitted from the words of scholars, but nevertheless it contains a number of graphic opinions and rhetorical features, which its author mentioned in response to the words of other scholars, or singularly about them without being caught by him.

Recommendations:

Al-Suyuti's comments and rhetorical singularities are among the most important features that the rhetorical researcher should pay attention to and pay attention to, as the book picking flowers is one of the most important books of al-Suyuti, in which the author addressed the verses of the Holy Qur'an with explanation and interpretation, and explained what it contains of rhetorical arts, adorable pictures, and glimpses Miraculous, according to others, or a discovery from himself.

Keywords : Dissociations, Comments, Rhetoric, Al-Suyuti, Al-Imran, Al-Ma'idah .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أحمد الله تعالى، وأثني عليه، وأصلي وأسلم على رسوله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فيعد تفسير السيوطي (قطف الأزهار في كشف الأسرار)، من أهم كتبه، جمع فيه كثيراً من الفوائد العلمية، والمسائل البلاغية، فهو يهتم بالآيات القرآنية، وما فيها من ملامح بلاغية، وأساليب بيانية، ويسلط الضوء على نظمها، ويكشف عن إعجازها، وينقل كلام العلماء فيها.

والسيوطي في تفسيره يكثر من النقل عن غيره من العلماء، حتى يكاد يكون كتابه كله نقولات، لكنه في مواضع عديدة يخالف رأي غيره، ويعقب على كلامه، ويذكر رأيه، وقد ينفرد برأي لم يسبقه إليه أحد.

ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث، وقررت الكشف والتنقيب عن هذه الانفرادات والتعليقات، خصوصاً البلاغية منها، فبدأتها ببحث عن الانفرادات والتعليقات البلاغية في سورة البقرة، وقد نشر في مجلة علمية محكمة في المملكة العربية السعودية، وهذا هو البحث الثاني في هذه السلسلة، وهو مقتصر على الانفرادات والتعليقات في سورتي: آل عمران والمائدة، وإن شاء الله أكمل هذه السلسلة في أبحاث قادمة.

وقد بدأ هذا البحث بتمهيد، ذكرت فيه نبذة مختصرة عن سورتي: آل عمران والمائدة، وعدد آياتهما، ومقصودهما، وموضوعاتهما، ثم نبذة مختصرة عن الإمام السيوطي، ونبذة أخرى عن تفسيره (قطف الأزهار في كشف الأسرار).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ثم قسمت البحث إلى مبحثين، الأول: درست فيه شواهد سورة آل عمران، وعددها خمسة شواهد، والثاني: درست فيه شواهد سورة المائدة، وهما شاهدان، فبينت معنى الآية موضع الشاهد، وكلام السيوطي فيه، وهل هناك من سبقه للقول الذي ذهب إليه، وبعض الملامح البلاغية في موضع الشاهد.

وأهمية هذا الموضوع تكمن في عدم دراسة هذه الانفرادات والتعليقات البلاغية، دراسة تهتم بانفرادات السيوطي، وتعليقاته البلاغية في تفسيره قطف الأزهار، وحسب بحثي المتواضع لم أجد دراسة سابقة، أو بحثاً علمياً متكاملاً يتكلم عن هذا الموضوع، إلا رسالة علمية قدمت لنيل درجة الماجستير في القرآن وعلومه، من كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤٢٨هـ، للباحث: علي بن عبدالرحمن النجاشي، وهي رسالة تدور حول اختيارات السيوطي وترجيحاته، في كتبه المتعلقة بعلوم القرآن جمعاً ودراسة، وموازنتها باختيارات العلماء الآخرين وترجيحاتهم، وذلك بالرجوع إلى كتب السلف المعتمدة في علوم القرآن، والتفسير، إضافة إلى بعض الدراسات المتخصصة في القراءات، وأحكام القرآن، ومشكله وغريبه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباحث

التمهيد:

١- مقدمة عن سورة آل عمران:

هي سورة مدنية[١]، وعدد آياتها: مائتان في جميع العدد، فهي متفقة الإجماع، مختلفة التفصيل[٢].

وسميت بهذا الاسم لوروده في كلام النبي صلى الله عليه وسلم، ففي الحديث الذي رواه أبو أمامة الباهلي عن فضل سورة آل عمران، يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: "اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرءوا الزهراوين البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما، اقرءوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة".[٣]

مقصود السورة:

"التوحيد، وذلك أن الفاتحة – وهي أم القرآن – لما كانت جامعة للدين إجمالاً جاء ما به التفصيل، وهو القرآن، الذي هي أمه، محاذياً لذلك، فابتدأ بسورة الكتاب، المحيط بأمر الدين، كما أن الفاتحة محيطة بأم القرآن، ثم بسورة التوحيد، الذي هو سر حرف الحمد، أول حروف الفاتحة السبعة، لأن التوحيد هو الأساس الذي لا يقوم بناء شيء من الدين بدونه، كما أن الفاتحة أس القرآن".[٤]

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١/٤).
(٢) ينظر: مصاعد النظر، لأبي بكر البقاعي (٦٤/٢).
(٣) صحيح مسلم (حديث رقم ٨٠٤).
(٤) مصاعد النظر، لأبي بكر البقاعي (٦٧/٢).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

موضوعات السورة:

تحدثت السورة عن عدة موضوعات، منها: إثبات وحدانية الله تعالى، والحديث عن غزوة بدر الكبرى، وتفصيل أحوال أهل الكتاب، وبيان عقيدة الولاء للمؤمنين، والتحذير من موالاة الكافرين، وذكر بعض قصص الأنبياء، والحديث عن بعض الآداب التربوية، والأحكام الشرعية.

٢- مقدمة عن سورة المائدة:

هي سورة مدنية(١)، وعدد آياتها: مئة وعشرون آية، وروى عبد الله بن عمرو أنه أُنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المائدة وهو راكب على راحلته، فلم تستطع أن تحمله، فنزل عنها.(٢)

وسميت بهذا الاسم لأن فيها قصة المائدة التي سألها الحواريون من عيسى- عليه السلام-، وقد اختصت بذكرها.(٣)

مقصود السورة:

"الوفاء بما هدى إليه الكتاب، ودل عليه ميثاق العقل من توحيد الخالق، ورحمة الخلائق، شكراً للنعمة، واستدفاعاً للنقمة، وقصة المائدة أدل ما فيها على ذلك، فإن مضمونها: أن من زاغ عن الطمأنينة، وزاغ عن الثبات والسكينة، بعد الكشف الشافي، والإنعام الوافي، نوقش الحساب، فأخذه العذاب، وتسميتها بالعقود، أوضح دليل على ما ذكرت، وكذا الأحبار".(٤)

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٦/٣٠).
(٢) مسند الإمام أحمد (حديث رقم ٦٦٤٣).
(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٦/٦٩).
(٤) مصاعد النظر، البقاعي (٢/١٠٦).

موضوعات السورة:

من موضوعاتها: الاهتمام بالتوحيد، والعقيدة الصحيحة، والتأكيد على عقيدة الولاء والبراء، وتوضيح علاقة المسلمين مع أهل الكتاب، وبيان عدد من الأحكام الشرعية المهمة، كالعقود والذبائح والصيد وغيرها، كما ذكرت فيها بعض قصص الأمم السابقة، وفيها بيان لأحوال أهل الكتاب.

٣- نبذة عن الإمام السيوطي.

اسمه:

عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبي الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الهمام الخضيري الأسيوطي.

مولده: ولد بداية شهر رجب سنة (٨٤٩هـ).

نسبته: الأسيوطي نسبة إلى أسيوط، المدينة المصرية، وأكثر المصادر تسميه بالسيوطي.

طلبه للعلم: حفظ القرآن في صغره، ثم حفظ بعض متون العلم في الفقه والحديث والأصول، والنحو، وشرع في الاشتغال بالعلم منذ بداية حياته، تلقى العلم في سبعة علوم: التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والمعاني، والبيان، والبديع، له الكثير من المؤلفات والمصنفات، في شتى أنواع العلوم المختلفة.[١]

(١) ينظر: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، السيوطي (١/٣٣٥-٣٣٨).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

شيوخه: من شيوخه الذين تتلمذ عليهم: الحافظ ابن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ)، وشمس الدين محمد بن موسى بن محمود السيرامي الحنفي (ت٨٩١هـ)، وعلم الدين البلقيني (ت٨٦٨هـ)، وشرف الدين المناوي(ت٨٧١هـ)، وتقي الدين الشمني (ت٨٧٢هـ)، ومحيي الدين الكافيجي (ت٨٧٩هـ).

وفاته: توفي السيوطي –رحمه الله– في التاسع عشر من جمادى الأولى سنة ٩١١هـ. (١)

٤- نبذة عن تفسير قطف الأزهار.

يعد تفسير (قطف الأزهار) من أهم كتب السيوطي التي تناول فيه آيات القرآن الكريم بالبيان والتفسير، وكشف ما فيها من إعجاز وبيان وبلاغة، فلا يكاد يترك في كتابه آية فيها ملمح بلاغي، أو فن بديعي، إلا وأشار إليه.

وقد وصل السيوطي في تفسيره هذا إلى سورة التوبة، عند الآية (٩٢)، وقد قام تلميذه محمد بن محمد السنهوري بكتابة النسخة الثانية لهذا التفسير، وانتهى منها سنة ٩١٧هـ، يقول السنهوري: "هذا آخر ما انتهى إليه شيخنا، حافظ العصر المجتهد، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن السيوطي..."(٢).

والسيوطي في تفسيره هذا، يكثر النقل عن غيره، حتى يكاد يكون كتابه أغلبه نقولات، وقد يخرج في بعض الأقاويل عن مجرد النقل، فيخالف رأي من نقل عنه، وقد ينفرد برأي لم يسبقه إليه أحد، وهناك مصادر عديدة

(١) ينظر: قطف الأزهار في كشف الأسرار، السيوطي (١/٣٣-٤٩)
(٢) قطف الأزهار في كشف الأسرار، السيوطي (١/٨٥).

أكثر النقل عنها، وأشار إليها، إما تصريحاً، أو تلميحاً، وهناك مصادر أخرى كان قليل النقل عنها، ومن أهم العلماء الذين نقل عنهم في توجيه الآيات المشتبهات:

١- الفراء (ت٢٠٧هـ).

٢- الخطيب الإسكافي (ت٤٢٠هـ).

٣- الراغب (ت٥٠٢هـ).

٤- الكرماني (ت٥٠٥هـ).

٥- الزمخشري (ت٥٣٨هـ).

٦- ابن عطية (ت٥٤١هـ).

٧- الرازي (ت٦٠٦هـ).

٨- ابن جماعة (ت٧٣٣هـ).

٩- أبو حيان (ت٧٤٥هـ).

١٠- الزركشي (ت٧٩٤هـ).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الأول:

انفرادات السيوطي وتعليقاته البلاغية في سورة آل عمران.

١- قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ * قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾ (١)

يبين تعالى في هاتين الآيتين أنه حسّن للناس حب الشهوات من النساء، والبنين، والأموال الكثيرة من الذهب والفضة، والخيل الحسان، والأنعام من الإبل والبقر والغنم، والأرض المعدة للغرس والحرث، وأنها هذه الأشياء زهرة الحياة الدنيا، والله عنده حسن المرجع والثواب، ثم أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يخبرهم بشيء هو خير مما زين للناس في هذه الحياة الدنيا، وهو لمن اتقى الله وخافه، فأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، خالدين فيها، ولهم فيها أزواج مطهرات من الحيض والنفاس وسوء الخلق، ولهم أعظم من ذلك: رضوان من الله. (٢)

وقوله: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ استئناف، وفيه مبالغة، حيث جعل الأعيان التي ذكرها شهوات، مبالغة في كونها مشتهاة، وتخسيساً لها، فالشهوة مسترذلة عند الحكماء، مذموم من اتبعها.(٣)

---

(١) سورة آل عمران (١٤-١٥).

(٢) ينظر: التفسير الميسر (٥١).

(٣) ينظر: الكشاف، الزمخشري (٣٤٢/١).

وقوله: (ذلك) إشارة بالبعيد إلى جميع ما تقدم من الشهوات، المفسر بهذه الأعيان تأكيداً لتخسيسه البعيد من إخلاد ذوي الهمم إليه، ليقطعهم عن الدار الباقية، وجمع ضمير المخاطب (ذلكم) في قوله: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾ ولم يقل: (ذلك)؛ لأنّ المخاطب جميع الناس، وعظَّمه بأداة البُعد وميم الجمع؛ لعظمته عندهم، والزيادة في تعظيم ما يُرشِد إليه.(١)

وفي قوله: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم﴾ استئناف بفعل الأمر (قل) اهتماماً بالمقول، وهمزة الاستفهام للتقرير والعرض؛ تشويقاً من نفوس المخاطبين إلى تلقي ما سيُقص عليهم، أي: أأخبركم بما هو خير مما فُصل من تلك الشهوات(٢)، وفيه: التفات من الغيبة في (زين للناس) إلى الخطاب (قل)؛ للتشريف.(٣)

وذكر المفسرون أن الله تعالى ذكر شيئاً من متاع الدنيا في الآية الأولى، وهي النساء والبنين والقناطير المقنطرة والخيل والأنعام والحرث، وذكر في الآية الثانية ما يقابل هذا المتاع الدنيوي، بل هو أفضل منه، وأبقى، وهو الجنات والأنهار، والخلد، والأزواج، والتطهر، والرضوان، وذكروا أن هذا جاء على سبيل المقابلة.(٤)

وتحدث السيوطي (٩١١هـ) عن هذه المقابلة، ولكنه خرج برأي جديد، وهو أن ما ذُكر من متاع في الدنيا هو داخل في متاع الآخرة، وأن المقابلة هي بين قوله: ﴿ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾وقوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾، وقوله:

---

(١) ينظر: نظم الدرر، البقاعي (٢٧٣/٤).
(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٨٣/٣-١٨٤).
(٣) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان (٥٥/٣).
(٤) المقابلة هي:" أن يؤتى بمعنيين متوافقين، أو معان متوافقة، ثم بما يقابلهما، أو يقابلها على الترتيب." (الإيضاح:٢٥٩).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ في مقابلة قوله: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ وأتى في مقابلة قوله: ﴿لِلنَّاسِ﴾ بقوله: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ يقول: " ولما ذكر في هذه الآية ستة أنواع من متاع الدنيا، قابلها بستة من أمور الآخرة، الجنات والأنهار، والخلد، والأزواج، والتطهر، والرضوان، كذا قال بعضهم، قلت: وأحسن منه أن يقال: إن الآية الأولى اشتملت على ذكر جميع منافع الدنيا، والجنة شاملة لذلك، لأن فيها جميع المطالب، كما قال: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾[1]، فدخل فيها جميع النعمة من المطعم والمشرب والملبس والمفرش والمنظر والمنكح، ثم صرح بهذا في قوله: (وأزواج) من باب عطف الخاص على العام للاهتمام به، وليصفها بما ليس في نساء الدنيا، من التطهير الشامل لجميع الأحوال الذميمة التي في النساء، من الحيض والنفاس والأقذار وسوء العشرة، ولما كان قوله في الآية الأولى (ذلك متاع الحياة الدنيا) مشعراً بالزوال والفناء، أتى في مقابلته بقوله: (خالدين فيها) ولما كان قوله: (زين للناس حب الشهوات) مشعراً بأنها غير مرضية عند الله، أتى في مقابلته بقوله: (ورضوان من الله) وأتى في مقابلة قوله: (للناس) بقوله: (للذين اتقوا)."[2]

ولم أقف على عالم أو مفسر ذكر المقابلة التي ذكرها السيوطي، بل جلّهم تكلم عن مقابلة متاع الدنيا بمتاع الآخرة، ومنهم الفخر الرازي (٦٠٦هـ)، الذي ذكر أنه تعالى لما بين نعم الدنيا وعددها، بين منافع الآخرة، وأنها خير وأبقى من منافع الدنيا.[3]

---

(١) سورة الزخرف (٧١).
(٢) قطف الأزهار (٥٦٩/١).
(٣) مفاتيح الغيب، الرازي (١٦٤/٧).

والسيوطي حاول الغوص في معاني الآيتين، ولم يقف عند ما ذكره مَن قبله، بل جاء بمقابلات أخرى، والأمر يحتمل الجمع بين هذه المقابلات كلها، فمتاع الآخرة في مقابلة متاع الدنيا، والخلود في الجنة في مقابلة زوال نعيم الدنيا، ومرضاة الله في مقابلة ما لا يرضاه سبحانه، والمتقين في مقابلة عامة الناس.

٢- قال تعالى: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾[١]

هذه الآية جاءت في سياق توضيح علاقة المؤمن مع الكافر، فالمؤمن منهي أن يتخذ الكافر ولياً، يحبه وينصره، فإن كتم ما استقر في قلبه، من موالاة الكافرين ونصرتهم، فإنّ ذلك لا يخفى على الله، فإنه سبحانه يعلم ما في السماوات، وما في الأرض.

وعبر بالصدور في الآية ولم يعبر بالقلوب، لأن القلب في الصدر، فجاز إقامة الصدر مقام القلب[٢].

وقوله: {وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ} من باب ذكر العام بعد الخاص وهو {مَا فِى صُدُورِكُمْ}[٣]، تأكيداً له وتقريراً.[٤]

والملاحظ في الآية أنه تعالى قدم الخفاء على الابتداء، وقد ذكر السيوطي أن هذا عكس ما جاء في سورة البقرة من تقديم الابتداء على

---

(١) سورة آل عمران (٢٩).
(٢) مفاتيح الغيب، الرازي (١٩٥/٨).
(٣) الدر المصون، الحلبي (١١٤/٣).
(٤) ينظر: تفسير أبي السعود (٢٣/٢).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الخفاء، وذكر أنه لم يرَ أحداً من العلماء تعرض لذلك، إلا أنه نقل قولاً لأبي حيان، يذكر فيه أن ذلك الاختلاف من التفنن في الفصاحة(١)، يقول السيوطي: " فإن قلت: لم قدم الإخفاء على الابتداء هنا، وعكس في آخر البقرة؟ قلت: لم أرَ من تعرض لذلك، ويمكن أن يقال: لما كانت الآية هنا عقب التحذير من الموالاة والحب، وهما من أعمال القلوب، ناسب الابتداء بالإخفاء، وآية البقرة عقب التحذير من كتم الشهادة، وأداء الشهادة من أعمال اللسان، فناسب الابتداء بالإبداء."(٢)

وقد تكلم ابن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨هـ) عن هذا الاختلاف، ونظر إلى سياق الآيات، وذكر بأن من صفات المنافقين إظهار الشيء، وإبطان خلافه، والآية التي سَبقت آية آل عمران فيها نهي عن اتخاذ المؤمنين الكافرين أولياء، وحذر تعالى من ذلك أشد التحذير إلا عند التقية، ثم قال محذراً: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾(٣) فلما نهاهم عن عمل المنافقين، كان أهم شيء يؤكد عليه بعده هو أنه سبحانه يعلم ما يخفون، كعلمه ما يبدون، أما آية البقرة فلم يجرِ فيها ذكر النفاق، ولا صفة أهله، وإنما سُبقت بذكر بعض الأحكام الشرعية، فتقدم ذكر ما يبدو؛ لأنه خطاب للمؤمنين.(٤)

والملاحظ أن رأي السيوطي قريب من رأي ابن الزبير، فالمنافقون يؤيدون المؤمنين في الظاهر وأعمال الجوارح، ويخالفونهم في الباطن، وفي أعمال القلوب، كالحب والموالاة، وهذا ما أكد عليه ابن الزبير في رأيه.

---

(١) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان (٩٦/٣).
(٢) قطف الأزهار (٥٧٩/١).
(٣) سورة آل عمران (٢٨).
(٤) ينظر: ملاك التأويل، ابن الزبير الغرناطي (٧٣/١).

وفي نهاية الآية بين تعالى أنه قادر على كل شيء، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وفي هذا تمام الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب.(١)

وفي الآية إظهار في موضع الإضمار، فأظهر لفظ الجلالة (الله) في موضع الإضمار؛ لتربية المهابة، وتهويل الخطب.(٢)

٣- قال تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾(٣)

وردت هذه الآية في سياق قصة مريم وابنها عيسى عليهما السلام، وهذه الآية تحكي قول مريم وتعجبها من أن يكون لها ولد، وهي ليست متزوجة، وليست بغياً، فقال لها الملك: هذا الذي يحدث لك ليس بمستبعد على الإله القادر، الذي يُوجد ما يشاء من العدم، فإذا أراد إيجاد شيء فإنما يقول له: كن فيكون.(٤)

والنداء في (رب) يفيد التحسر وليس للخطاب، لأن الذي كلمها هو الملك، وهي قد توجهت إلى الله، والاستفهام في قوله: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾للإنكار والتعجب(٥)، أو للاستبعاد العادي، أو استفهام عن أنه يكون بتزوج أو غيره.(٦)

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي (١٩٥/٨).
(٢) تفسير أبي السعود (٢٣/٢).
(٣) سورة آل عمران (٤٧).
(٤) ينظر: التفسير الميسر (٥٦).
(٥) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٤٨/٣).
(٦) ينظر: أنوار التنزيل، البيضاوي (١٧/٢).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وذكر تعالى في قصة مريم عليها السلام لفظة (ولد)، بينما في قصة زكريا عليه السلام ذكر لفظة (غلام)، لأن هدف مريم عليها السلام كان استبعاد الحمل مطلقاً، لا كونه ذكراً أو أنثى، أما في قصة زكريا عليه السلام فكان المقصود بالحمل الدلالة على أنه ذكر.(١)

وهذا المشهد في هذه الآية يصور ردة فعل مريم –عليها السلام– حين بشرت بالولد، وهو مشهد طغى عليه الذهول، وسيطر عليه التعجب، ولا يخفى للمتأمل في هذا المشهد، الإيقاع البديع، والجرس الجميل في كلمة (يمسسني)، فقد جاءت بإيقاع خافت، وجرس هادئ، يناسب الحالة النفسية التي كانت عليها مريم، ويوافق الذهول الذي أصابها.

والمسّ مأخوذ من الفعل (مسس)، يقول ابن فارس: " (مَسّ) الميم والسين أصل صحيح واحد، يدل على جَسِّ الشيء باليد، وَمَسِسْتُهُ أَمَسُّهُ، وربما قالوا: مَسَسْتُ أَمُسُّ."(٢)

وحرف السين في قوله: (يمسسني) فيه تضعيف، وهو حرف مهموس، لا يهتز معه الوتران الصوتيان، ولا يسمع لهما رنين حين النطق به، وهو كذلك حرف رخو، لا ينحبس الهواء معه انحباساً محكماً عند النطق به، وإنما يكتفى بأن يكون مجراه ضيقاً، والسين من حروف الصفير، ومن المعلوم أن حروف الصفير من أكثر الحروف رخاوة، فالهمس والرخاوة من الصفات الضعيفة، وهذا يناسب حالة الذهول والتعجب التي كانت تعيشها مريم –عليها السلام– حين سمعت التبشير بالولد، فجرس السين بما فيه من

(١) ينظر: نظم الدرر، البقاعي (٤/٤٠٠).
(٢) معجم مقاييس اللغة، مادة (مسّ) (٥/٢٧١).

همس ورخاوة وصفير، يناسب الحالة التي كانت عليها مريم من ضعف وخوف وذهول، فصور حالتها وهي تناجي ربها، وتلتجئ إليه، بتصوير معبر، وجرس قوي، وإيقاع مؤثر.

وفي لفظة (يمسسني) كناية[١] عن الوطء والجماع[٢]، وهي كناية عن موصوف، وغرض هذه الكناية التعبير عما يستقبح ذكره بلفظ حسن، وهذه الكناية عبرت عن الحالة النفسية لمريم –عليها السلام–، والذهول الذي أصابها بعد تبشيرها بالولد، فالكناية، والجرس الهادئ، والإيقاع الرائع لكلمة (يمسسني) رسم عند المتلقي صورة كاملة للمشهد، وأعطى دلالات وإشارات واضحة لحال مريم عند مناجاتها لربها، وتضرعها بين يديه، والذهول والتعجب الذي عاشته في تلك الساعات العصيبة.

تطرق السيوطي في هذه الآية للاختلاف بين قصة مريم وابنها عيسى عليهما السلام وقصة زكريا عليه السلام، فقد ذكر تعالى في قصة مريم وابنها عيسى عليهما السلام الفعل (يخلق)، وفي قصة زكريا عليه السلام الفعل (يفعل)، يقول: " أقول: لأن أمر عيسى أبدع وأغرب، فعبر فيه بالخلق الدال على الاختراع والإبداع، ثم رأيت أبا حيان ذكر مثل ذلك".[٣]

وقد تطرق أبو حيان (٧٤٥هـ) قبل السيوطي لهذا الاختلاف، وذكر أن الفعل جاء بلفظ (يفعل) في قصة زكريا، لأن أمر زكريا داخل في الإمكان العادي المعروف، وإن كان قليلاً، وفي قصة مريم جاء الفعل بلفظة (يخلق)

---

(١) الكناية: " لفظ أطلق وأريد به لازم معناه، مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي." جواهر البلاغة (ص٢٨٧)، الإيضاح (ص٢٤١).

(٢) ينظر: البحر المحيط (٤٨٤/٢).

(٣) قطف الأزهار (٥٩٣/١).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

لأنه لا يتعارف مثله، وهو وجود ولد من غير والد، فهو إيجاد واختراع من غير سبب عادي، فلذلك جاء بلفظ: يخلق، الدال على هذا المعنى.(١)

٤- قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾(٢)

يخبر تعالى أنه أخذ الميثاق والعهد المؤكد على الأنبياء جميعهم، أنه إن بعث رسولاً مصدقا لما معهم أن يؤمنوا به، ويصدقوه، ويأخذوا ذلك على أممهم، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد أوجب الله عليهم أن يؤمن بعضهم ببعض، ويصدق بعضهم بعضاً، لأن جميع ما عندهم هو من عند الله، وكل ما من عند الله يجب التصديق به والإيمان، فهم كالشيء الواحد، ثم أخذ عليهم الإقرار وأشهد بعضهم على بعض.(٣)

في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ إيجاز بالحذف؛ إذ ذكر النبيين على سبيل المغايبة، ثم قال: (آتيتكم) وهو مخاطبة إضمار، والتقدير: وإذ أخذ الله ميثاق النبيين، فقال مخاطبًا لهم: لما آتيتكم من كتاب وحكمة، وقيل: تقدير الآية: وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لتبلغنّ الناس ما آتيتكم من كتاب وحكمة، إلا أنه حذف (لتبلغن)؛ لدلالة الكلام عليه؛ لأن لام القسم إنما تقع على الفعل؛ فلما دلت هذه اللام على هذا الفعل، حذفه اختصاراً.(٤)

---

(١) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان (١٥٨/٣).
(٢) سورة آل عمران (٨١).
(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (١٣٦/١).
(٤) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي (٢٧٧/٨).

وقد تكلم السيوطي عن هذه الآية، وأن فيها التفاتاً[١]، وهو التفات من الغيبة للخطاب، يقول معلقاً على هذا الموضع: "قلت: وعندي في توجيهها غير ذلك، وهو أن فيها التفاتاً عن الغيبة إلى الخطاب، فإنه قد تقدم أن المراد أخذ الميثاق على أهل الكتاب، فالتقدير: وإذ أخذ الله ميثاقكم يا أهل الكتاب مع أنبيائكم لما آتاكم، أي وقت إيتائه الكتاب بإيتائه لأنبيائكم، لتؤمنن أن جاءكم رسول مصدق لما معكم، فقوله: (لتؤمنن) متصل بقوله: (وحكمة)، جواب الميثاق، وقدم عليه (ثم جاءكم رسول) ليعود إليه الضمير في (به)".[٢]

وقد تطرق السمين الحلبي (٧٥٦هـ) للالتفات في هذه الآية، وذكر أن فيها التفاتان، الأول في قوله: (آتيتكم) وهو التفات من الغيبة إلى التكلم، لأن قبله لفظ الجلالة (الله) في قوله: {وإذ أخذ الله}، والثاني: التفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله: (آتيتكم)، فقد تقدمه اسم ظاهر وهو (النبيين)، إذ لو جرى على مقتضى تقدم الجلالة والنبيين لكان التركيب: وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتاهم من كتاب كذا، ثم ذكر رد بعض العلماء على الالتفات الثاني وأن فيه نظر، وأن هذا لا يسمى التفاتاً في اصطلاحهم، وإنما يسمى حكاية الحال، ونظيره قولك: حلف زيد ليفعلن ولأفعلن، فالغيبة مراعاة لتقدم الاسم الظاهر، والتكلم حكاية لكلام الحالف، وما جاء في الآية الكريمة من قبيل هذا.[٣]

---

(١) الالتفات: " هو: التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة، بعد التعبير عنه بطريق آخر منها." (الإيضاح:٦٨).

(٢) قطف الأزهار (٦٠٩/١).

(٣) ينظر: الدر المصون، الحلبي (٢٩٣/٣).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وبهذا يتضح أن هذا تعليق السيوطي ليس من انفراداته، وإنما أخذه ممن سبقه من العلماء، ومنهم السمين الحلبي.

٥- قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾[١]

ذكر تعالى في هذه الآية موقفاً من مواقف يوم القيامة، ففيه تبيض وجوه أهل السعادة الذين آمنوا بالله ورسوله، وتسود وجوه أهل الشقاء ممن عصوا الله، وكذبوا رسوله، فأما الذين اسودت وجوههم، فيقال لهم توبيخا: أكفرتم بعد إيمانكم، فاخترتم الكفر على الإيمان؟ فذوقوا العذاب بسبب كفركم، وأما الذين ابيضت وجوهم، فهم في جنة الله ونعيمها، وهم باقون فيها، لا يخرجون منها أبدا.[٢]

وقد ذكر السيوطي أن في هذه الآية لف ونشر[٣]، وهو غير مرتب[٤]، فذكر تعالى في هاتين الآيتين فريقين مختلفين، الأول في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾ والثاني في قوله تعالى: ﴿وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾، ثم ذكر ما يقابل كل فريق لكن من غير ترتيب، فقال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾وهو يقابل الفريق الثاني في قوله: ﴿وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ ثم قال: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ

---

(١) سورة آل عمران (١٠٦-١٠٧).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (٦٣/١).

(٣) اللف والنشر هو: " وهو ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين، ثقة بأن السامع يرده إليه". (الإيضاح: ٣٥٠)، واللف المفصل والنشر غير المرتب هو أن تذكر الأشياء المتعددة مفصلة، ثم يذكر ما يتصل بها على سبيل الترتيب، من غير تعيين، ثقة بأن السامع يرده إليه.

(٤) ينظر: قطف الأزهار (٦٢٢/١).

﴿ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ وهو يقابل الفريق الأول في قوله: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ﴾، فجاءت هاتان الآيتان على طريقة اللف المفصل والنشر غير المرتب.

ولم يتطرق أحد ممن سبق السيوطي لذكر اللف والنشر صريحاً في الآية، لكن الرازي (٦٠٦هـ) تطرق لهذا الأسلوب لكنه لم يسمه، فذكر أن الله تعالى ذكر قسمين، فقال: يوم تبيض وجوه، وتسود وجوه، فقدم البياض على السواد في اللفظ، ثم لما شرع في حكم هذين القسمين لم يراعِ الترتيب السابق، فقدم حكم السواد على حكم البياض، وسبب ذلك عنده، أن الواو للجمع المطلق لا للترتيب، أو أن المقصود من الخلق إيصال الرحمة لا إيصال العذاب.(١)

وفي رأيي أن الآية لا يوجد فيها لف ونشر، وإنما هي من باب التفصيل بعد الإجمال، لأنه يشترط في اللف والنشر عدم التعيين، والتعيين في هذه الآية موجود، فأجمل حال الفريقين، ثم فصّل حالهم في الآخرة، وقد ذكر هذا الرأي أبو السعود (٩٨٢هـ) في تفسيره، يقول: " ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ﴾تفصيل لأحوال الفريقين بعد الإشارة إليها إجمالاً، وتقديم بيان هؤلاء لما أن المقام مقام التحذير عن التشبه بهم مع ما فيه من الجمع بين الإجمال والتفصيل والإفضاء إلى ختم الكلام بحسن حال المؤمنين كما بدئ بذلك عند الإجمال".(٢)

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (٣١٩/٨).

(٢) تفسير أبي السعود (٦٩/٢).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

"وقدم عند وصف اليوم ذكر البياض، الذي هو شعار أهل النعيم، تشريفا لذلك اليوم بأنه يوم ظهور رحمة الله ونعمته، ولأن رحمة الله سبقت غضبه، ولأن في ذكر سمة أهل النعيم، عقب وعيد بالعذاب، حسرة عليهم، إذ يعلم السامع أن لهم عذاباً عظيماً في يوم فيه نعيم عظيم، ثم قدم في التفصيل ذكر سمة أهل العذاب تعجيلاً بمساءتهم".(١)

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٤/٤٤-٤٥).

المبحث الثاني:

انفرادات السيوطي وتعليقاته البلاغية في سورة المائدة.

١- قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾[١]

ذكر تعالى قبل هذه الآية حكم السارق، وأنه تقطع يده، وهذا عقابه في الدنيا إن لم يتب، فإن تاب توبة صادقة فإن الله سيقبل منه، ثم خاطب رسوله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية بقوله: ألم تعلم -أيها الرسول- أن الله خالق الكون ومالكه، وأنه تعالى الفعال لما يريد، يعذب من يشاء، ويغفر لمن يشاء، وهو على كل شيء قدير، فلا يعجزه شيء.[٢]

والاستفهام في قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ إنكاري لتقرير العلم، والمراد به الاستشهاد بذلك على قدرته تعالى على ما سيأتي من التعذيب والمغفرة على أبلغ وجه وأتمه[٣]، والجملة: " استئناف بياني، جواب لمن يسأل عن انقلاب حال السارق من العقاب إلى المغفرة بعد التوبة مع عظم جرمه، بأن الله هو المتصرف في السماوات والأرض وما فيهما، فهو العليم بمواضع العقاب ومواضع العفو".[٤]

وقدم العذاب على المغفرة بناء على تقدم ذكر السرقة على التوبة، وذكر هذا التعليل البيضاوي (٦٨٥هـ) وأنه إنما قدم التعذيب على المغفرة

---

(١) سورة المائدة (٤٠).
(٢) التفسير الميسر (١١٤).
(٣) تفسير أبي السعود (٣٦/٣).
(٤) التحرير والتنوير (١٩٤/٦).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بناء على ترتيب ما سبق، أو لأن استحقاق التعذيب مقدم أو لأن المراد به القطع وهو في الدنيا.(١)

وذكر السيوطي أنه لما قدم جملة العذاب، وأخر جملة المغفرة كان هذا كاللف والنشر المرتب.(٢)

وفي رأيي أن الآية ليس فيها لف ونشر، وهذا ما رمى له السيوطي، والدليل أنه لم يجزم بوجود أسلوب اللف والنشر في الآية، وإنما قال: كاللف، فهو غير جازم بوجوده، وقد يكون هذا الرأي مأخوذاً من الزمخشري الذي تطرق لهذا الموضع، وبين سبب تقديم العذاب على المغفرة، وأنه جاء في مقابلة تقدم السرقة على التوبة، لكنه لم يذكر أن الآية جاءت على طريقة اللف والنشر.(٣)

وأنكر الشعراوي (١٤١٨هـ) أن يكون سبب التقديم هو التفنن في الأساليب؛ لأن جمهرة الآيات تأتي بالغفران أولاً، ثم بالوعيد بالعذاب لمن يشاء سبحانه، والسياق جاء موافقاً لهذا التقديم، فالحديث أولاً كان عن السارق والسارقة، وبعد ذلك عمن تاب، فالسرقة إذن تقتضي التعذيب، والتوبة تقتضي المغفرة، فالترتيب هنا منطقي.(٤)

وفي قوله: (يعذب) و (يغفر) طباق إيجاب، وجاء الفعلان بصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار، كما أن في الآية طباق إيجاب بين (السموات والأرض).

---

(١) أنوار التنزيل، البيضاوي (١٢٦/٢).
(٢) ينظر: قطف الأزهار (٨٠٨/٢).
(٣) ينظر: الكشاف، الومخشري (٦٣٢/١).
(٤) تفسير الشعراوي (٣١٣١/٥).

وفي قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ إظهار في مقام الإضمار، حيث قال: (وَٱللَّهُ)، ولم يقل: (وهو)؛ لإظهار كمال قدرة الله عز وجل، والجملة تذييل مقرِّر لما قبلها.(١)

٢- قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٢٠﴾(٢)

جاءت هذه الآية في ختام سورة المائدة، وبعد ذكر قصة عيسى عليه السلام، وما جرى بينه وبين ربه عز وجل، حين تبرأ من النصارى، وأحال أمرهم إلى الله، فبين تعالى فيها اختصاصه وحده لا شريك له بملك السموات والأرض وما فيهن، وهو على كل شيء قدير فلا يعجزه شيء.(٣)

وقدم لفظ الجلالة ﴿لِلَّهِ﴾ على ﴿مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ لإفادة الاختصاص، فالسموات والأرض ومن فيهن من اختصاص الله وحده، لا يغالبه عليها أحد، وذكر ابن عاشور (١٣٩٣هـ) أن تقديم لفظ الجلالة (لله) مفيد للقصر، أي له لا لغيره.(٤)

قال تعالى: ﴿وَمَا فِيهِنَّ﴾ ولم يقل: (ومن فيهن) تغليباً للعقلاء على غير العقلاء، وتنبيهاً على أن كل المخلوقات مسخرون في قبضته وقدرته وقضائه وقدره(٥)، وفي الآية تنبيه على كذب النصارى وفساد دعواهم في المسيح وأمه عليهما السلام(٦)، وفيها تنبيه على عبودية عيسى عليه السلام، وتحريض على تعليق الآمال بالله وحده.(٧)

---

(١) ينظر: تفسير أبي السعود (٣/٣٦).
(٢) سورة المائدة (١٢٠).
(٣) ينظر: التفسير الميسر (١٢٧).
(٤) ينظر: التحرير والتنوير (٧/١٢٠).
(٥) ينظر: مفاتيح الغيب (١٢/٤٦٩).
(٦) ينظر: أنوار التنزيل (٢/١٥٢).
(٧) ينظر: زاد المسير، الجوزي (١/٦٠٦).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وتقدمت السموات على الأرض في الآية؛ لأن السموات أشرف وأكبر، وآياتها أدل وأكثر من الأرض.(١)

يتحدث السيوطي في نهاية سورة المائدة عن مناسبتها لسورة الأنعام، وعلاقة آخر المائدة بأول الأنعام، يقول: "وأقول فيما ظهر لي بفضل الله: لما ذكر من آخر المائدة أنه له ملك السموات والأرض على سبيل الإجمال، افتتح هذه السورة بشرح ذلك وتفصيله، فبدأ بذكر أنه خلق السموات والأرض، وضم إليه أنه جعل الظلمات والنور، وهو بعض ما تضمنته ما فيهن، وبدأ بهما قبل سائر المخلوقات، لأنهما لكونهما طرفي الزمان، وذانك ظرفا المكان، كانا كالمقابلين لهما، فكأن كلا قسم برأسه".(٢)

ولم أقف في بحثي المتواضع على عالم قبل السيوطي ذكر ما قاله، لكن البقاعي (٨٨٥هـ) تحدث عن مناسبة آخر المائدة وأول الأنعام، وأنه تعالى اختتم سورة المائدة بحمد عيسى عليه السلام، وافتتح سورة الأنعام بالحمد، فقال: " لما ختم سبحانه تلك بتحميد عيسى عليه السلام لجلاله في ذلك اليوم في ذلك الجمع، ثم تحميد نفسه المقدسة بشمول الملك والقدرة، إذ الحمد هو الوصف بالجميل؛ افتتح سبحانه وتعالى هذه السورة بالإخبار بأن ذلك الحمد وغيره من المحامد مستحق له استحقاقا ثابتا دائما قبل إيجاد الخلق وبعد إيجاده سواء شكره العباد أو كفروه، لما له سبحانه وتعالى من صفات الجلال والكمال".(٣)

---

(١) ينظر: نظم الدرر، البقاعي (٣٧٠/٦).
(٢) قطف الأزهار (٨٣٨/٢).
(٣) نظم الدرر، البقاعي (٢/٧-٣).

الخاتمة

يسلط هذا البحث الضوء على انفرادات السيوطي البلاغية في سورتي آل عمران والمائدة، والمذكورة في تفسيره قطف الأزهار في كشف الأسرار.

ومن أبرز نتائج هذا البحث:

١- كتاب قطف الأزهار يعد من أهم كتب السيوطي، حيث تناول فيه المؤلف آيات القرآن الكريم بالشرح والتفسير، وبيان ما فيها من فنون بلاغية، وصور بديعية، ولمحات إعجازية، نقلاً عن غيره، أو اكتشافاً من نفسه.

٢- يحتوي تفسير قطف الأزهار على عدد من الآراء البيانية، والأساليب البلاغية، التي تحتاج إلى بيان وتوضيح.

٣- حث الباحثين على دراسة جهود السيوطي البلاغية في كتبه، واستخراج ما فيها من تعليقات وانفرادات.

أخيراً، أسأل الله العظيم التوفيق والسداد، وأن يغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، وما أسررنا وما أعلنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ثبت المصادر والمراجع

١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود: محمد بن محمد بن مصطفى، (د.ط) (د.ت)، دار إحياء التراث العربي: بيروت.
٢. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: عبدالله بن عمر، تحقيق: محمد المرعشلي، ط١/١٤١٨هـ، دار إحياء التراث العربي: بيروت.
٣. الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني: جلال الدين محمد بن عبدالرحمن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط١/ ١٤٢٤ه، دار الكتب العليمة: بيروت.
٤. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان: محمد بن يوسف، تحقيق: صدقي محمد جميل، (د.ط) ١٤٢٠هـ، دار الفكر: بيروت.
٥. التحرير والتنوير، ابن عاشور: محمد الطاهر (د.ط) ١٩٨٤م، الدار التونسية للنشر: تونس.
٦. تفسير الشعراوي، الشعراوي: محمد متولي، (د.ط) (د.ت) مطابع أخبار اليوم.
٧. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، الرازي: فخر الدين محمد بن عمر، ط٣/١٤٢٠هـ، دار إحياء التراث: بيروت.
٨. التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، ط٢/١٤٣٠هـ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف: السعودية.
٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي: عبدالرحمن بن ناصر، ط١/١٤٢٠هـ، مؤسسة الرسالة: بيروت.
١٠. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: محمد بن أحمد، تحقيق: أحمد البردوني- إبراهيم أطفيش، ط٢/ ١٣٨٤هـ، دار الكتب المصرية: القاهرة.
١١. جواهر البلاغة، الهاشمي: السيد أحمد، ضبط وتدقيق: د.يوسف الصميلي، ط١/١٩٩٩م، المكتبة العصرية: بيروت.

١٢. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١/ ١٣٨٧هـ، دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه: مصر.
١٣. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي: شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، (د.ط) دار القلم: دمشق.
١٤. صحيح مسلم، تحقيق: محمد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي: بيروت.
١٥. قطف الأزهار في كشف الأسرار، السيوطي: عبدالرحمن بن أبي بكر، تحقيق: د. أحمد بن محمد الحمادي، ط١/١٤١٤هـ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: قطر.
١٦. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. الزمخشري، محمود بن عمرو. ط٣/١٤٠٧هـ، دار الكتاب العربي: بيروت.
١٧. مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١/١٤١٦هـ، دار الحديث: القاهرة.
١٨. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي: أبو بكر إبراهيم بن عمر، ط١/١٤٠٨هـ، مكتبة المعارف: الرياض.
١٩. معجم مقاييس اللغة، الرازي: أحمد بن فارس، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، (د.ط) ١٣٩٩هـ، دار الفكر: دمشق/ بيروت.
٢٠. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، الغرناطي: أحمد بن إبراهيم بن الزبير، تحقيق: عبد الغني محمد علي الفاسي، (د.ط) (د.ت)، دار الكتب العلمية: بيروت.
٢١. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي: إبراهيم بن عمر، (د.ط) (د.ت)، دار الكتاب الإسلامي: القاهرة.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١.	ملخص	١٣٠٩٩
٢.	Abstract	١٣١٠٠
٣.	المقدمة	١٣١٠١
٤.	التمهيد:	١٣١٠٣
٥.	١- مقدمة عن سورة آل عمران:	١٣١٠٣
٦.	٢- مقدمة عن سورة المائدة:	١٣١٠٤
٧.	٣- نبذة عن الإمام السيوطي.	١٣١٠٥
٨.	٤- نبذة عن تفسير قطف الأزهار.	١٣١٠٦
٩.	المبحث الأول: انفرادات السيوطي وتعليقاته البلاغية في سورة آل عمران.	١٣١٠٨
١٠.	المبحث الثاني: انفرادات السيوطي وتعليقاته البلاغية في سورة المائدة.	١٣١٢١
١١.	الخاتمة	١٣١٢٥
١٢.	ثبت المصادر والمراجع	١٣١٢٦
١٣.	فهرس الموضوعات	١٣١٢٨